[259] وأما ما احتججتم به (1) يؤديكم إلى ما هو أكبر مما ذكرته لكم، لانكم قلتم: إن عظيما من عظمائكم قد يقول لاجنبي لا نسب بينه وبينه: يا بني، وهذا ابني، لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضا هذا العظيم يقول لاجنبي آخر: هذا أخي، ولآخر: هذا شيخي وأبي، (2) ولآخر: هذا سيدي ويا سيدي على سبيل الاكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخا أو شيخا له أو أبا أو سيدا لانه قد زاده في الاكرام مما لعزير، كما أن من زاد رجلا في الاكرام قال له يا سيدي ويا شيخي ويا عمي ويا رئيسي على طريق الاكرام، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخا ، أو شيخا، أو عما أو رئيسا، أو سيدا، أو أميرا ؟ لانه قد زاده في الاكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدي، أو يا عمي، أو يا أميري، أو يا رئيسي، قال: فبهت القوم وتحيروا و قالوا: يا محمد أجلنا (3) نتفكر فيما قلته لنا، فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة للانصاف يهدكم ا. ثم أقبل صلى ا عليه وآله على النصارى فقال: وأنتم قلتم: إن القديم عزوجل اتحد بالمسيح ابنه، فما الذي أردتموه بهذا القول ؟ أردتم أن القديم صار محدثا لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى ؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قديما لوجود القديم الذي هو ا ؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به أنه اختصه بكرامة لم يكرم بها أحدا سواه ؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثا فقد أبطلتم، لان القديم محال أن ينقلب فيصير محدثا، وإن أردتم أن المحدث صار قديما فقد أحلتم، لان المحدث أيضا محال أن يصير قديما، وإن أردتم أنه اتحد به بأن اختصه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لانه إذا كان عيسى محدثا وكان ا اتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى محدثين، وهذا

_____ (1) في نسخة وفى الاحتجاج: وان ما احتججتم به. (2) في المصدر: ولاخر هذا أبى. (3) في النسخة المقروءة على المصنف: خلنا.

_____